



الهداية في سورة الفاتحة دراسة تحليلية لمفهوم الهداية وأبعادها القرآنية

م.م. عادل فرحان كاظم سلطان¹

¹ وزارة التربية/ مديرية تربية القادسية – العراق

adel.frhan@ec.edu.iq

المخلص. يتناول هذا البحث موضوع (الهداية في سورة الفاتحة دراسة تحليلية لمفهوم الهداية وأبعادها القرآنية)، جاء القرآن الكريم بتعاليم هادية موصلة للسعادة فمن أخذ بها فاز وسُعد، ومن تخلف عنها واتبع الهوى ضلّ وشقي. وسعينا في هذا البحث إلى إظهار مركزية الهداية في البنية اللغوية والمعنوية لسورة الفاتحة، وبيان كيفية اختزال هذه السورة الصغيرة في عدد آياتها وألفاظها، العميقة في مقاصدها، حيث جوهر المشروع القرآني الهادف إلى إخراج الإنسان من التيه والضلال إلى النور واليقين. وقد اعتمد الباحث في تفسير أغلب الآيات على التفسير المعاصرة في مقدمتها الميزان، وفي ظلال القرآن، مع الإفادة من تفسيرات أخرى كتفسير التحرير والتطوير وغيره. وكان منهج البحث المنهج التحليلي الموضوعي القائم على الاستقراء التفسيري المقارن، من خلال جمع المفردات الدالة على الهداية ضمن السياق السُوري بشكل عام والفاتحة بشكل خاص، مع التركيز على المفاهيم الرئيسية في الآيات (كـ. اهدنا الصراط المستقيم)، و(صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). وتهدف الدراسة إلى بيان مفهوم الهداية وأقسامها في ظل السياق القرآني، وتقديم مادة يمكن من خلالها التمييز بين أقسام الهداية، فهداية المعصومين (الأنبياء والأئمة) لُدنية تختلف عن هداية بقية الناس وأقسام الهداية على اختلاف مراتبها موصلة للسعادة (الفوز بالجنة) وإن عدم اتباع أو العدول عن الهداية مؤداه الخسران (دخول النار) نستعيز بالله منها. وقد خرج البحث بنتائج منها: إن الهداية في سورة الفاتحة ليست كمفهوم مجرد، بل كموقف شامل يتضمّن الاعتراف بالفقر والحاجة المستمرة لله، وأن سورة الفاتحة وسيلة





المؤمن لتجديد طلب الهداية في كل لحظة. ومنها: إن الهداية مقياسًا للتمييز بين أهل الحق وأهل الباطل فهي، طريق مستقيم موصل لمرضاة الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الصراط المستقيم، الهداية، الإمامة.

Abstract. This research addresses the topic of Guidance in Surah al-Fātiḥah: An Analytical Study of the Concept of Guidance and its Qur'anic Dimensions. The Holy Qur'an came with guiding teachings that lead to happiness; whoever adheres to them attains success and bliss, while whoever stays away from them and fulfills their whims heads to confusion and destruction. This study aimed to demonstrate the centrality of guidance in the linguistic and lexical structure of Surah al-Fātiḥah and to demonstrate that this short chapter is small in its verses and words but profound in its purposes, which embodies the core of the Qur'anic project, which seeks to guide humanity from confusion and misguidance to light and certainty. The researcher relied, in interpreting most of the verses, upon contemporary exegeses, foremost of which were al-Mīzān and Fī Zīlāl al-Qur'ān. Also, he has benefited from some tafsīrs such as al-Taḥrīr wa al-Tanwīr, and others. The methodology adopted is the analytical-objective method, basing it on a comparative exegesis of the inductive method, by collecting the terms that denote guidance within the Qur'anic context.

Keywords: The Straight Path, Guidance, Imamate.

المقدمة

يحتلّ موضوع الهداية موقعًا جوهريًا في البناء العقدي والفكري للقرآن الكريم، إذ يقَدّم القرآن الهداية باعتبارها الغاية الكبرى التي يسعى إليها الإنسان في رحلته الوجودية. فهي السبيل إلى معرفة الله تعالى، والاستقامة على أمره، وتحقيق الغاية النهائية من الخلق. ومن أبرز السور التي تضع الهداية في مركز الاهتمام سورة الفاتحة، التي افتتحت بها المصاحف، وجعلها الله تعالى جزءًا لا يتجزأ من الصلاة اليومية، الأمر الذي يكشف عن مكانتها المحورية في تشكيل الوعي الديني للمسلم، حيث تتكرر في وجدان المؤمن مرات عديدة كل يوم.





وتتجلى أهمية الهداية في هذه السورة من خلال الدعاء الصريح: (اهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة: 6)، وهو دعاء يعبر عن حاجة الإنسان المستمرة إلى العناية الإلهية التي تضمن له الثبات على طريق الحق. والهداية في القرآن ليست مفهوماً أحادي البعد، بل هي متدرجة ومتكاملة، إذ تشمل الهداية التكوينية العامة التي تقتضيها سنن الخلق، والهداية التشريعية التي تتجلى في الرسائل الإلهية، والهداية الخاصة التي يوفق الله بها عباده المخلصين، ثم الهداية التي تختص بالأنبياء والأئمة المعصومين لما أُودع فيهم من تسديد وعصمة.

ولأجل ذلك، جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على مفهوم الهداية في سورة الفاتحة، من خلال التحليل اللغوي والاصطلاحي، واستعراض أبعادها الروحية والعملية والرسالية، وربطها بالمباحث العقدية المتعلقة بالعصمة والافتداء بالقذوات المعصومة. كما تسعى الدراسة إلى بيان كيف أن الصراط المستقيم في الفاتحة يتسع ليشمل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، بما يربط بين النصوص القرآنية والرؤية الكلية للهداية.

وتعتمد معايير الترجيح على قوة الدليل اللغوي والسياقي، وملاءمة القول لمقاصد السورة، وسلامة التفسير من التعسف أو التأويل البعيد غير المدعوم من السنة، واعتماد القول على نص قرآني أو حديث وارد عن النبي أو عن أحد المعصومين أو أصل تفسيري معتبر، مع مراعاة تأييد الرأي من كبار المفسرين وتنوّع الاتجاهات الفكرية. كما حرص البحث على تحكيم أغلب الروايات الواردة في تفسير آيات السورة وفق منهج المحدثين والنقاد، واختيار الروايات الصحيحة والمعتبرة قدر الامكان، لضمان الاعتماد على عليها.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه لا يقتصر على الشرح التفسيري، بل يحاول تحليل البنية القرآنية لمفهوم الهداية، وإبراز أبعادها المتكاملة في حياة الفرد والمجتمع، ليكشف أن سورة الفاتحة تمثل مفتاحاً أساسياً لفهم مشروع الهداية القرآني برمّته، بما يضمن للإنسان الانسجام مع غايته الكبرى وتحقيق صلته بخالقه.

1. المبحث الأول: الهداية العامة في سورة الفاتحة

1.1. أولاً: التحليل اللغوي والاصطلاحي للهداية

1- التحليل اللغوي: بعد مطالعة اغلب معاجم اللغة العربية فيما يخص كلمة "الهداية" تبين انها مأخوذة من الجذر الثلاثي "ه د ي"، ومعناها في اللغة: الإرشاد إلى الصواب - دفع الإنسان عن





الضلال والتهيه - وتوضيح الطريق الذي يؤدي إلى الهدف المنشود. وجاء في المعجم الوسيط: الهداية هي "إظهار الطريق إلى المطلوب سواء كان حقاً أو خيراً" (أنيس وآخرون، 2004م: ج2، ص451). جاءت مادة (هَدَى) في اللغة للدلالة على الإرشاد والتوجيه إلى الطريق مع العناية بالموصول إليه. قال ابن فارس: "الهاء والذال والياء أصلٌ يدلُّ على دلالةٍ بلطفٍ من ذلك الهداية، يقال: هَدَيْتُ فلاناً إلى الطريق، وهَدَيْتُهُ أَي دَلَلْتُهُ، والهدايةُ الرَّشْدُ" (ابن فارس، 1979م: ج6، ص61).

جاء في لسان العرب لابن منظور إن الهُدَى: "الرشاد والدلالة، نقيض الضلال. يقال: هَدَاهُ اللهُ يَهْدِيهِ هُدًى وَهَدًى وَهِدَايَةً، أَي: دَلَّهُ وَأَرْشَدَهُ. وَالهُدَى: الْبَيَانُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ. وَقِيلَ: الْهُدَى يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِرْشَادِ إِلَى الطَّرِيقِ حَسَنًا وَمَعْنَى؛ فَالْحَسَنِيُّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: اهُدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَالْمَعْنَوِي كَقَوْلِهِ: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَالهُدَى يَكُونُ بِمَعْنَى الْبَيَانِ، وَبِمَعْنَى التَّوْفِيقِ. فَإِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بِمَعْنَى التَّوْفِيقِ، وَإِذَا أُضِيفَ إِلَى الْعَبْدِ فَهُوَ بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ." ثم قال: "والهادي: اسم من أسماء الله تعالى، لأنه يُرشد خلقه ويُبين لهم سبيل الخير. والهَدَى نقيض الضلال، وأصله من السَّوْقِ إِلَى الْمَقْصُودِ بِرَفْقٍ وَلِينٍ." (ابن منظور، 1994، ج14، ص442).

كما عرّفها الراغب بقوله: الهُدَى: دلالة بلطف، ولذلك فإن ذلك غالباً ما يكون من الله تعالى دون غيره، إذ كل من ذلك بيسر ولطف فهو هادٍ، لكن الله تعالى هو الهادي على الحقيقة، إذ هو الذي يوصلك إلى الغاية و المطلوب. (الراغب الأصفهاني، 1992م: ص537). وبذلك يتبين لنا أن أصل المعنى اللغوي للهداية يتضمّن الإرشاد إلى الطريق بيسر ولطف ورعاية وهذا الإرشاد ليس مجرد معرفة الطريق بل الوصول إلى الغاية المنشودة وهي السير على طريق الله - سبحانه وتعالى.

2- التحليل الاصطلاحي: صاحب تفسير الميزان السيد الطباطبائي يرى أن الهداية تشمل ثلاثة أبعاد مترابطة: هي بعد معرفي (إدراك حقيقة الله وصفاته ووجوب طاعته)، وبعد عملي (العمل بما يرضي الله)، وبعد روحي وأخلاقي (تزكية النفس وتهذيب السلوك). (انظر: الطباطبائي، 1990م: ج1، ص320-322). الهداية تشمل الهداية الفردية والجماعية، والبعد الجماعي يرتبط بالقيادة المعصومة للأمة. أشار لهذا المعنى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (انظر: الشيرازي، 1989م: ج1، ص115). وسيد قطب، في ضلال القرآن: يرى أن الهداية ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي أسلوب ونمط حياة متكامل يربط الإنسان بخالقه ويحدد المعيار الأخلاقي للصراف المستقيم (انظر: سيد قطب، 1980م: ج1، ص102).





الهداية في القرآن تجمع بين الفهم المعرفي والعمل الأخلاقي، وبين البعد الفردي والجماعي، وتمثل أساس الصراط المستقيم الذي تطلبه سورة الفاتحة وهذا ما يجعل الهداية في المنظور القرآني أكثر من انها مجرد الإخبار بالمعلومة أو توجيه معين (الهداية التكوينية)، بل تتضمن التوفيق والتسديد (الهداية الخاصة).

1.2. ثانيًا: تفسير آية (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6)

يرى السيد الطباطبائي في الميزان أن الدعاء في قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم لا ينحصر في بعد فردي خاص بالمؤمن وحده، بل يمتد ليشمل بعدًا جماعيًا يرتبط بالأمة كلها. فالهداية المطلوبة من الله هي الثبات على الطريق الموصل إلى رضاه والنجاة. (انظر: الطباطبائي، 1990م: ج 1، ص 322-325). ومكارم الشيرازي في تفسيره يرى أن الصراط المستقيم يربط الهداية التكوينية للفطرة بالهداية الشرعية بالتشريع، أي أن الإنسان يحتاج إلى كل منهما ليتمثل الطريق الصحيح (الشيرازي، 1989: ج 1، ص 117). وسيد قطب يوضح أن الصراط المستقيم يمثل الطريق الكامل للعبادة والطاعة والسلوك القويم، وهو مبدأ مركزي للهداية التي تجمع بين الفرد والأمة (انظر: سيد قطب، 1980م: ج 1، ص 103).

تُبرز الدراسات الحديثة دور أهل البيت -عليهم السلام- كمصدر أساسي لفهم القرآن وتوضيح مسارات الهداية والصراط المستقيم. فقد أكد الباحثان (Hussaini & Vaezi, 2024) أن أهل البيت يمثلون حلقة وصل بين النص القرآني والتطبيق العملي للهداية، مشيرين إلى أن فهم الهداية يشمل الجوانب العقائدية والأخلاقية والسلوكية، مما يجعلها عملية مستمرة ومتجددة في حياة المؤمن ويؤكد الباحثان أن توجيه أهل البيت يعزز استقامة الإنسان على الحق ويكمل فهمه للآية الكريمة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

والصراط المستقيم في سورة الفاتحة يمثل مسارًا مزدوجًا:

- 1- الهداية العامة التي تشمل الفطرة والهداية الشرعية.
- 2- الهداية الخاصة (الهداية المعصومة للأمة).

1.3. ثالثًا: الهداية العامة - البعد التكويني والشرعي

1- البعد التكويني: القرآن الكريم يرشد ويهدي إلى الطريق الصحيح، لكنه لا يقهر أحدا ولا يفرض الهداية على أحد والهداية تحتاج إلى صدق القلب واستعداد الضمير. قال تعالى: (الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى). (طه: 50). الراغب الأصفهاني يقول: "الهداية الطبيعية تشمل الإحساس بالقيم والقدرة





على التفاعل مع الظواهر الطبيعية بما يحقق الغاية الإنسانية" (الراغب الاصفهاني، 1992م: ص154).
والهداية التكوينية تهئ الإنسان لقبول الهداية الشرعية، فهي أساس الفطرة والتميز بين الخير والشر
(الطباطبائي، 1990م: ج1، ص323).

2- البعد الشرعي: قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد: 10) الشيخ مكارم الشيرازي تجددت عن
مراتب الهداية فنكر ان الهداية التشريعية هي بمثابة بيان الطريق والايصال الى المطلوب أو المراد وان
الانسان يصف الطريق أحيانا بدقة وعناية للسائل ويترك السائل معتمدا على الوصف من أجل أن يصل
لمطلوبه وغايته واحيانا يصف له الطريق بدقة ثم لا يكفي بذلك فيأخذ بيده ليوصله الى مقصده. يتضح
ان الهداية التشريعية تكون قسمين:

فالأول: يمكن تحقيقه باتباع القوانين والتعليمات وهذا القسم اسمه بيان الطريق أو اراءة الطريق.
الثاني: هو الايصال الى المطلوب وهو بالإضافة الى ما جاء بالقسم الأول فان الشخص المجيب
يهيء كل مستلزمات السفر ويزيل الموانع ويحل المشكلات بالإضافة الى ذلك فانه يرافق السائل حتى
يوصله الى مقصده (انظر: الشيرازي، 1989م: ج1، ص67). الجمع بين الهداية التكوينية والشرعية
يعكس منهجاً قرآنيًا متكاملًا، فالهداية الشرعية تكمل الفطرة وتوجهها نحو الحق (المصدر السابق، ج1،
ص117). يرى الباحث إن الهداية في سورة الفاتحة بشكل خاص تشمل البعد الفردي والجماعي، وتربط
بين الفطرة والهداية الشرعية. والصرط المستقيم يمثل الطريق العام لكل إنسان، مع تمهيد للبعد الخاص
للهداية المعصومة للأمة، والهداية التي لا يتبعها ضلال وهي لطف الهي خاص يمنع من الوقوع بالخطأ
وهي أخص من الهداية العامة وستبين أكثر في المبحث الثاني.

2. المبحث الثاني: الهداية الخاصة وعلاقتها بالعصمة في ضوء النصوص القرآنية والحديثية.

2.1. أولاً: مفهوم الهداية الخاصة

الهداية الخاصة هي الهداية الإلهية المتميزة عن الهداية العامة، وهي تلك التي تضمن أن يكون
المعصوم مستقيماً لا يضل ولا يُضل غيره، فهي هداية لا يتبعها ضلال ولا شقاء بل هي هداية دائمة.
والهداية الخاصة تشمل كل المعصومين، والعصمة مقام خاص يختص بمن جعلهم الله حجة على
عباده. وهناك اختلاف بين المذاهب الإسلامية في تحديد المعصوم وقد يكون الاختلاف بين علماء
المذهب الواحد ماعدا المذهب الإمامي الجعفري الذي يقرر أنّ المعصوم هو من عصمه الله تعالى عن
الذنب و النسيان والخطأ عمدا وسهواً، لذلك يكون قدوة تامة للأمة وحجة بالغة حيث اتفق كل علمائهم





على ان العصمة تشمل كل الأنبياء بلا استثناء وفي مقدمتهم النبي محمد- صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة الاثني عشر أولهم الامام علي بن أبي طالب وآخرهم الامام المهدي محمد بن الحسن العسكري- عليهم السلام - و كذلك ابنة رسول الله و بضعته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء- عليها السلام.

والهداية الخاصة يمكن أن نسميها العصمة مع الأخذ بالنظر الى إن درجات المعصومين مختلفة من حيث الأفضلية، فمثلاً درجة النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - تختلف عن درجات كل الأنبياء والمعصومين فهو أفضلهم بل هو أفضل وأجل وأكرم وأكمل من جميع المخلوقات. وكل درجات المعصومين ومراتبهم نور على نور.

ولأن البحث لا يسع وعنوان البحث مخصص للهداية الخاصة للنبي المختار و الأئمة الأطهار سنبين القول في عصمتهم دون الخوض في ادلة عصمة الأنبياء- عليهم السلام.

والمعصومون الأربعة عشر عند الإمامية الاثني عشرية هم: (النبي محمد- خاتم الأنبياء والمرسلين - والسيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد- سيّدة نساء العالمين- والأئمة الاثني عشر من أهل البيت أولهم الإمام علي بن أبي طالب- وصي رسول الله- وآخرهم الإمام محمد بن الحسن المهدي- عجل الله فرجه الشريف).

2.2. ثانياً: الأدلة القرآنية على الهداية الخاصة (العصمة).

الهداية الخاصة (العصمة) من المفاهيم العقديّة التي حظيت باهتمام ومكانة كبيرين في الفكر الإسلامي لما لها من صلة وثيقة بحفظ الرسالة الإلهية وضمان سلامة التبليغ. وقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة لهذا الموضوع، حيث عرض عصمة الأنبياء والأولياء في مواضع كثيرة وأشار إلى أن العصمة إنما هي مظهر من مظاهر العناية الإلهية والهداية الربانية الخاصة. والهداية الخاصة في المنظور القرآني مرتبة سامية من مراتب الهداية، تتمثل في تسديد الله تعالى لعباده المصطفين بالعصمة والولاية، بحيث يكونون قدوةً للأمة في السير على الصراط المستقيم. وهذا النوع من الهداية يختلف عن الهداية التكوينية العامة التي تشمل جميع الخلق، إذ تختص هذه الهداية الخاصة بالنبي والأئمة ممن شهد القرآن الكريم وأكدت السنة النبوية على طهارتهم وعصمتهم.

قال الشيخ أبو جعفر - رضي الله عنه - : "اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً، لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون





الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفي عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم" (الشيخ المفيد، 1983م: 1413).

وعند الوقوف على النصوص القرآنية تتبين لنا أدلة واضحة تثبت أن الهداية الخاصة ليست مجرد افتراض نظري، بل حقيقة قرآنية متأصلة، تؤكدنا نصوص صريحة جاءت لحماية الدين وضمان كمال الرسالة. وسنأخذ بعض الآيات الكريمات ونفسرها لتتضح ماهية الهداية الخاصة (الاصطفاء الإلهي). قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة: 124). يتبين من الآية الكريمة التي نحن بصدددها، أن منزلة الإمامة الممنوحة لإبراهيم - عليه السلام - هي هداية خاصة ومنزلة الامامة تفوق منزلة النبوة والرسالة. ولتوضيح ذلك نقول: إن للإمامة معاني مختلفة: الإمامة بمعنى الزعامة والرئاسة في أمور الدنيا، والإمامة بمعنى الرئاسة في أمور الدين و الدنيا، (قال بذلك فريق من علماء أهل السنة). و الإمامة بمعنى تحقيق المناهج الدينية بما في ذلك منهج الحكم بالمعنى الواسع للحكومة الذي يشمل إقامة الحدود وأحكام الله، وكذلك تطبيق العدالة الاجتماعية. وهذه المنزلة أعظم وأسمى من منزلة النبوة والرسالة، لأن منزلة النبوة والرسالة تقتصر على إبلاغ أوامر الله، والبشارة والإنذار، أما الإمامة فتشمل مسؤوليات النبوة والرسالة إضافة إلى "إجراء الأحكام" و"تربية النفوس ظاهرياً وباطنياً" ومن الواضح أن كثيراً من الأنبياء يتمتعون بمنزلة الإمامة. ومنزلة الإمامة في الحقيقة منزلة تحقيق أهداف الدين والهداية. يتضح مما سبق إن الامام يتمتع بهداية خاصة والأ كيف يقوم بكل هذه المسؤوليات وكيف يكون هادياً - تأمل بدقة - ان الامام مؤيد بتأييد الهي وهو النفوذ الروحي وتأثيره على القلوب المستعدة للهداية المعنوية والإمام في ذلك يشبه الشمس التي تبعث الحياة في النباتات، فذلك دور الامام في بعث الحياة الروحية والمعنوية في الكائنات الحيّة. (انظر: الشيرازي، 1989م: ج 1، 368-369).

و الذي نجده في كلامه تعالى: أنه كلما تعرض لمعنى الإمامة تعرض معها للهداية تعرض بالتفسير، قال تعالى في قصص إبراهيم (عليه السلام): (وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ). (الأنبياء: 73)، و قال سبحانه: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ). (السجدة: 24)، فوصفها بالهداية وصف تعريف، ثم قيدها بالأمر، فبين أن الإمامة ليست مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بأمر الله، و هذا الأمر هو الذي بين حقيقته في قوله: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). (يس: 82) ومصطلح الامامة على شرافته و عظمته، لا يقوم إلا بمن كان سعيد الذات بنفسه، إذ الذي ربما تلبس ذاته بالظلم





و الشقاء، فإنما سعادته بهداية من غيره، و قد قال الله تعالى: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (يونس:35). و قد قول في الآية بين الهادي إلى الحق و بين غير المهدي إلا بغيره، و هذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلى الحق مهتدياً بنفسه، و أن المهدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحق البتة. (انظر: الطباطبائي، 1990م: ج1، 356).

وجاء في تفسير التحرير والتتوير لابن عاشور إن المقصود بالإمام هنا الرسول فإن الرسالة أكمل أنواع الإمامة والرسول أكمل أفراد هذا النوع. وإنما عدل عن التعبير برسولاً إلى إماماً ليكون دالاً على أن رسالته تنفع للأمة المرسل إليها بطريق التبليغ، وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء. (ابن عاشور، 1984م: 703)

يتبين من الآية مورد البحث أن تعيين الامام من قبل الله و نفهم ضمناً أن الإمام (القائد المعصوم لكل جوانب المجتمع) يجب أن يكون معيناً من قبل - الله سبحانه -، لما يلي:

أولاً: الإمامة ميثاق إلهي وطبيعي أن يكون تعيين الامام من قبل الله، لأنه طرف هذا الميثاق. ثانياً: الأفراد الذين تلبسوا بعنوان الظلم، ومارسوا ولو لحظة ظلم بحق أنفسهم أو بحق غيرهم، كأن تكون لحظة شرك مثلاً، لا يليقون للإمامة، فالإمام يجب أن يكون طيلة عمره معصوماً. وهل يعلم ذلك في نفوس الأفراد إلا الله؟ ولو أردنا بهذا المعيار أن نعين خليفة لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلا يمكن أن يكون غير الامام علي - عليه السلام -. (انظر: الشيرازي، 1989م: ج1، 373)

قال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: 55). يستدل بها على أن الولاية لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - بعد رسول الله، حيث أن الروايات المتواترة عند الشيعة وبعض من المفسرين من أهل السنة تذكر أن هذه الآية نزلت في الامام علي - عليه السلام - عندما تصدق بخاتمه وهو راكع في صلاته. والولاية لله ولرسوله ولأمر المؤمنين والأئمة المعصومين والولاية لا تكون الا لمن نزهه الله عن المعاصي والآثام وطهره تطهيراً، وهذا دال على الهداية الخاصة التي يتمتع بها المعصومون.

(الله ورسوله والذين آمنوا). يعني - بالذين آمنوا- عليا وأولاده الأئمة -عليهم السلام - الى يوم القيامة ثم وصفهم الله عزوجل، فقال: (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) هذه الآية دالة على الولاية للنبي الأكرم وآله المعصومين والولاية لا تكون الا لمن كانت لديه ملكة الهداية الخاصة. (انظر: الفيض الكاشاني، 1995م: ج1، 329).





يقول السيد الطباطبائي: الآية تدل بدلالة الحصر على أن الولاية لله ورسوله وللمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، وقد انعقد الإجماع عند المفسرين أن الآية نزلت في علي - عليه السلام - حينما تصدق بخاتمه وهو راكع. ومن المعلوم أنّ الولاية هنا ليست بمعنى المحبة العامة، إذ محبة المؤمنين بعضهم لبعض أمر مشترك، فلا وجه للحصر، بل المقصود بها الولاية في الدين والقيادة، فلا ولاية تشريعية إلا لله، ثم لرسوله، ثم لعلي بعده، وهو من صميم الهداية الخاصة التي لا تكون إلا بالمعصوم (انظر: الطباطبائي، 1990م: ج6، ص10-12).

ذكر الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: "أَنَّ الْمَفْسِّرِينَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنِي بِهَا جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنِي بِهَا عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ. وَنَقَلَ الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ مُجَاهِدٍ وَالسَّيِّدِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ عَلِيًّا تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ فِي الصَّلَاةِ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ فِي شَأْنِهِ. ثُمَّ أورد الطبري روايات أخرى تخالف هذا القول، ليخلص إلى أن المعنى الأظهر هو العموم في المؤمنين، مع إثباته لورود القول الخاص بعلي. جاء ذلك في قوله: (حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع، فقال النبي للسائل: من أعطاك هذا؟ قال: ذلك الراكع، فأنزل الله: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...**) ثم قال الطبري: "وقال آخرون: بل عنى بذلك جميع المؤمنين"، ثم رجح القول بالعموم". (الطبري، 1992م: ج6، ص288-289).

ويرى مكارم الشيرازي أنّ كلمة (إنما) للحصر، وبهذا يظهر أن الولاية الحقيقية بعد الله ورسوله محصورة في الذين وصفهم القرآن، وقد أجمع المفسرون من الفريقين أنها نزلت في علي - عليه السلام - والولاية هنا بمعنى القيادة الدينية والسياسية، فهي إذن نصّ قرآني على إمامته، ومن ثم فهي تعني عصمته؛ إذ لا ولاية دينية إلا لمعصوم، لأنه لو جاز الخطأ على الولي لبطلت هداية الأمة (انظر: الشيرازي، 1989م: ج4، ص422).

ويقول القرطبي في تفسيره: "قال السدي: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب تصدق بخاتمه وهو راكع، وهو قول عبد الله بن سلام. قال أبو ذر: صليت مع رسول الله يوماً فسأل سائل فلم يعطه أحد، فمرّ علي وهو راكع في الصلاة فأوماً بخنصره وفيه خاتم، فأخذ السائل الخاتم. فنزلت الآية. وهذا من أقوى ما يُستدل به على ولاية علي" (القرطبي، 1967م: ج6، ص221).

يتضح أن آية الولاية ربطت بين العصمة والهداية الخاصة، فجعلت الولاية لعلي - عليه السلام - امتداداً لولاية الرسول، وهو عين معنى (الصراط المستقيم) الذي طلبه المؤمنون في سورة الفاتحة.





قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). (النساء: 59).
 يفهم من هذه الآية - والله أعلم - وجوب طاعة أولي الأمر - الأئمة - الطاعة المطلقة المقترنة بطاعة
 الله - جل وعلا- ورسوله الاكرم، مما يعني أنهم معصومون ومنزهون من الخطأ، وأن الله يجب أن
 ينص عليهم ويعرفهم للامة وهذه الآية يظهر فيها مفهوم الهداية الخاصة جليا اذ يأمر الله الناس باطاعة
 النبي محمد والأئمة الهداة - عليهم السلام - ويستفاد من هذه الآية ثلاثة امور اولها التوحيد (أطيعوا
 الله) وثانيها النبوة(وأطيعوا الرسول) وثالثها الامامة (وأولي الامر منكم).

يروى علي بن إبراهيم القمي عن الإمامين الباقر والصادق -عليهما السلام - أن المقصود بالذين
 آمنوا في آية الولاية هم الأئمة من آل محمد - صلوات الله عليهم - ويفسر بذلك وجوب طاعتهم المطلقة
 قياساً على طاعة الله ورسوله، لأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لمعصوم مأمون من السهو
 والخطأ.(انظر: القمي، 1989م: ج3، 234).

روى العالم السني أبو بكر بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد (حسب نقل الكاشي في المناقب)
 عن ابن عباس أنّ هذه الآية نزلت في الامام علي - عليه السلام - عند ما خلفه رسول الله - صلى
 الله عليه وآله وسلم - في المدينة (في غزوة تبوك) فقال الامام علي- عليه السلام -: يا رسول الله
 تخلفني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: (أما ترضى أن تكون
 مني بمنزلة هارون من موسى ألا انه لا نبي بعدي) حين قال أخلفني في قومي وأصلح فقال عز وجل:
 (...وأولي الأمر منكم).(انظر: الكاشي، 1989م: ج3، 425).

وحديث المنزلة هو حديث صحيح متواتر عند الشيعة والسنة، وقد أخرجه البخاري في (كتاب
 المغازي، باب غزوة تبوك)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم 2404)، وغيرهما.
 فولاة الأمر هم الأوصياء والأئمة بعد النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله - وقد قرن الله - سبحانه
 - طاعتهم بطاعة النبي وأوجب على العباد من فرضهم ما أوجبه من فرض النبي كما أوجب على
 العباد من طاعة النبي ما أوجبه عليهم من طاعته.

ورد في الحديث النبوي الشريف في فرض الطاعة قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: (ألست
 أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ثم قوله: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه) لأنه كلام مرتب على إقرار المسلمين
 للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يعني الطاعة وأنه أولى بالمسلمين من أنفسهم ثم قال - صلى الله
 عليه وآله وسلم -: (فمن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه) لأن معنى (فمن كنت مولاه)
 هو فمن كنت أولى به من نفسه لأنها عبارة عن ذلك بعينه فقد جعل أن يكون الامام علي - عليه





السلام - أولى بالمؤمنين من أنفسهم وذلك هو الطاعة لعلي - عليه السلام - (انظر: الصدوق، 1983م: 156).

وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي نصت على أن اولي الأمر هم آل البيت، لكن بعض المفسرين من السنة يفسرون اولي الأمر بأنهم العلماء وبعضهم يقول الخلفاء الأربعة وغيرها من التفسير. قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء: 72-73).

فلم تنزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا قرنا حتى ورثها النبي صلى الله عليه وآله، فقال الله - جل جلاله -: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ). (آل عمران: 68). فكانت خاصه، فقلدها - صلى الله عليه وآله - عليا بأمر الله - عز وجل - على رسم ما فرض الله - تعالى -، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله الايمان و العلم، بقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُمْ كُنُفٌ لَا تَعْلَمُونَ). (الروم: 56). فهي في ولد علي بن أبي طالب - عليه السلام - خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد - صلى الله عليه وآله - (الحويزي، 2001م: 440).

ورد في تفسير الآية الحاضرة "عن جعفر بن محمد الفزاري قال: حدثنا محمد (أحمد) بن الحسين الهاشمي عن محمد بن حاتم عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر - عليه السلام - في قوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) قال: نزلت في ولد فاطمة". (فرات الكوفي، 1995م: ج4، 329).

"وقد دلّت هذه الآية الكريمة على أن الله جعل إسحاق ويعقوب من الأئمة، أي جعلهم رؤساء في الدين يُقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. وقوله بأمرنا أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي، والأمر، والنهي، أو يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم، بإرشاد الخلق ودعوتهم إلى التوحيد" (الشقنيطي، 1999م: ج4، 166).

" إذ كان الإمام يهدي بالأمر - و الباء للسببية - فهو متلبس به أولاً و منه ينتشر في الناس على اختلاف مقاماتهم فالإمام هو الوسيلة او الرابط بين الناس و بين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية و أخذها كما أن النبي رابط بين الناس و بين ربهم في أخذ الفيوضات الظاهرية و هي الشرائع الإلهية تنزل بالوحي على النبي و تنتشر منه و بتوسطه إلى الناس و فيهم، و الإمام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها كما أن النبي دليل يهدي الناس إلى الاعتقادات الحقّة و الأعمال الصالحة، و ربما تجتمع





النبوة و الإمامة كما في إبراهيم و ابنه" (الطباطبائي، 1990م: ج14، 162). قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ). (النجم: 3-4).

يقول السيد الطباطبائي: الآية تدل على أن النبي معصوم في نطقه عن الهوى، فما ينطق إلا بالوحي، فلا مجال للخطأ أو السهو في تبليغه. وهذا يقتضي عصمته في مجال التشريع كله، لأن هداية الأمة لا تتم إلا بقودة معصومة" (الطباطبائي، 1990م: ج19، ص30).

إن هذه الآية تعني أن كل ما يصدر من النبي فيما يخص الدين والتشريع إنما هو وحي، فلا يُنسب إليه الخطأ أو الهوى. وهذا يؤكد ضرورة العصمة، لأن الأمة مأمورة باتباعه اتباعاً مطلقاً. (انظر: الشيرازي، 1989م: ج13، ص109). وعليه فإن عصمة النبي في التبليغ والتشريع هي تجلٍ للهداية الخاصة التي طلبناها في سورة الفاتحة، حيث لا معنى للصرات المستقيم إلا بالافتداء بمعصوم.

قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). (الأحزاب: 33). يرى الطباطبائي ان "إرادة الله هنا إرادة تكوينية، لا تتخلف، ومعناها أن الله شاء أن يطهر أهل البيت تطهيراً كاملاً من الرجس، أي الذنوب والعيوب، وهذا معنى العصمة (الهداية الخاصة). والحديث المتواتر في نزولها في الخمسة الطاهرين (النبي، علي، فاطمة، الحسن، الحسين) دليل قطعي على ذلك" (الطباطبائي، 1990م: ج16، ص312). و الشيخ مكارم الشيرازي يقول: "الآية وردت في سياق نساء النبي، لكن الضمير تغير من المؤنث إلى المذكر، وهذا يقطع بأن المخاطب غيرهن. وقد وردت الأحاديث الصحيحة في الفريقين أنها نزلت في أهل الكساء. وإرادة الله هنا ليست تشريعية بل تكوينية، فهي دالة على العصمة" (الشيرازي، 1989م: ج13، ص486).

وورد في مجمع البيان للطبرسي انه قال: "روت العامة والخاصة أنها نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. والتطهير هو التنزيه عن المعاصي والذنوب، وهو دليل العصمة" (الطبرسي، 1995م: ج8، ص557).

وعليه فإن آية التطهير نص صريح على العصمة، مما يجعل أهل البيت هم الامتداد الواقعي للهداية الخاصة والصرات المستقيم. قال تعالى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) (آل عمران: 61). اتفق المفسرون أن النبي دعا يوم المباهلة الامام علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين، ولم يدع غيرهم، فالمراد بـ(أبنائنا) الحسن والحسين، و(نساءنا) فاطمة الزهراء، و(أنفسنا) علي بن ابي طالب. وتعبير (أنفسنا) عن الامام علي أقوى دليل على عصمته وقربه من النبي في المقام المعنوي إلا النبوة. (انظر: الطباطبائي، 1990م: ج3، ص257).





و مكارم الشيرازي يرى: " أن الآية أوضح نصّ على عظمة أهل البيت، إذ لا يمكن أن يواجه المباحلة إلا المعصومون المؤيدون بالهداية الخاصة. ولهذا لم يُدخل النبي أحدًا من زوجاته ولا بقية الصحابة، بل اقتصر على أهل الكساء" (الشيرازي، 1989م: ج2، ص564). العصمة هي شرط أساسي للهداية الخاصة، لضمان تمثيل (الصراط المستقيم) بلا خطأ أو ذنب وآية المباحلة فيها دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء، وهو أنهم كانوا أخصّ الناس بالنبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -.

2.3. ثالثاً: الأحاديث الداعمة للهداية الخاصة

1- حديث علي مع القرآن والقرآن مع علي.

ورد عن النبي الأكرم انه قال: (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). (الحاكم النيسابوري، ج4، ص94). وهذه الرواية صحيحة الإسناد عند الحاكم النيسابوري.

يدل هذا الحديث على المكانة العلمية العالية لعليّ بن أبي طالب - عليه السلام - حيث كان قريناً للقرآن، معلم الأمة وناقل العلم بعد رسول الله. يُظهر الحديث اتصاله الوثيق بالقرآن وفهمه العميق لمقاصده وتشريعاته، مما أهله لنقل السنة وتفسير النصوص، وهذا الحديث صحيح السند عند أهل السنة، ويعد من الأدلة على علمية علي وفضل مشاركته في تعليم الأمة ونقل المعرفة القرآنية.

2- حديث الثقلين.

روى زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى حُمًا بين مكة والمدينة، فقال " (أما بعد، ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال:

(وأهل بيتي، أدرككم الله في أهل بيتي، أدرككم الله في أهل بيتي، أدرككم الله في أهل بيتي). (مسلم بن الحجاج، 1955م: ج7، ص122).

وفي رواية الترمذي " (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) ". (الترمذي، 1998م: ج5، ص328 (حديث رقم 3786). إن هذا الحديث يدل بوضوح على أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - جعل الهداية الخاصة مرتبطة بالتمسك بالقرآن الكريم وأهل بيته معاً، بحيث لا يفترق أحدهما عن الآخر. وهذا يعني أن أهل البيت





يتمتعون بمقام العصمة؛ لأنهم جُعلوا قرناء للقرآن الكريم، والقرآن معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلو لم يكونوا معصومين لما صحَّ هذا الاقتران.

وقد أكد علماء الفريقين أنَّ الحديث متواتر، وُروي بألفاظ متقاربة في مصادر كثيرة، مما يجعل دلالاته قطعية على كون الهداية الخاصة لا تتحقق إلا باتباع المعصومين من العترة الطاهرة.

ومن هنا، فإن طلب الهداية في سورة الفاتحة: (هَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6) إنما يتحقق عملياً بالتمسك بالقرآن وأهل البيت كما أوصى النبي، وهو التطبيق الواقعي للصرات المستقيم.

3- حديث الكساء وعلاقته بـ (آية التطهير)

روت عائشة قالت: " (خرج النبي غداة وعليه مرطٌ مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً")". (مسلم بن الحجاج، 1955م: ج7، ص130). يدل هذا الحديث الصحيح عند الفريقين بما لا يقبل الشك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أراد أن يبلغ الناس ويوضح لهم بعد أن جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - تحت الكساء، وقرأ عليهم آية التطهير (الأحزاب: 33) أن هؤلاء هم أهل البيت وهم المنزهين من الرجس وهم المعصومين وهم الهداة المهديين. والتعبير بـ (إنما يريد الله) يدل على إرادة تكوينية لا تتخلف، فكان معنى ذلك عصمتهم من الذنوب والرجس، وهذه العصمة هي تجلٍ للهداية الخاصة التي لا تتحقق إلا في الصفوة المختارة. ومن ثم، فإن عصمة أهل البيت التي أثبتها حديث الكساء تُبين أنهم الامتداد الطبيعي للهداية الإلهية والصرات المستقيم الذي طلبناه في سورة الفاتحة.

4- حديث الولاية (من كنت مولاه فعلي مولاه)

عن البراء بن عازب قال: "كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في سفر، فنزلنا ببغدير خم، فنودي فينا: الصلاة جامعة. فخطبنا رسول الله تحت شجرات، فقال: (ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)". (الترمذي، 1998م: ج5، ص633، حديث رقم: (3713). ورواه أحمد في المسند (ج4، ص281)، والحاكم في المستدرک (ج3، ص109) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وهذا الحديث الصحيح يبيِّن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - نصَّ على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين - عليه السلام - بعده، وجعلها امتداداً لولايته هو بينما أغلب أهل السنة يقولون أن دلالة الحديث هي دلالة محبة للامام علي لا غير. وعلماء الشيعة يرون أن هذا الحديث واضح





الدلالة خاصة إن الرسول قد قرن الولاية بالدعاء بالنصرة لمن والاه والمعادة لمن عاداه، مما يدل على أن المراد ولاية دينية وإمامة عامة، لا مجرد المحبة، لكن الأمة خذلت الامام علي - بعد أن رحل النبي الأكرم عن هذه الدنيا - وأول الخذلان أنهم ذهبوا الى سقيفة بني ساعدة لأجل الاستيلاء على الحكم وتركوا رسول الله دون دفن ولم يلتزموا بوصايا رسول الله وبعد استيلائهم على الحكم جرت الولايات على أهل بيت النبي. (ولمن يريد أن يطلع على الأحداث التي جرت بعد رحيل رسول الله فاليطالع كتاب سليم بن قيس). وبما أن الهداية الخاصة لا تكون إلا بالافتداء بمعصوم، فإن هذا الحديث يثبت أن عليًا شريك في الهداية الخاصة، وامتداد للصراف المستقيم في سورة الفاتحة.

5- حديث السفينة

عن أبي عبد الله الصادق قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)". (الكليني، 1986م: ج2، ص502). من الأحاديث المشهورة، وقد رواه الحاكم في "المستدرک" (ج2، ص343) وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الطبراني في "المعجم الكبير" (ج3، ص37)، وحسنه الألباني، فهو حديث حسن صحيح السند عند أهل السنة، وصحيح متواتر عند الشيعة.

يرى الشيعة أن التشبيه بسفينة نوح يدل على وجوب الاتباع العقدي والعملي لأهل البيت باعتبارهم الامتداد الشرعي لهدي النبوة والوسيلة الوحيدة للنجاة من الانحراف عن الإسلام الصحيح مستتدين إلى تلازم هذا الحديث مع حديث الثقلين. أما جمهور أهل السنة فيفسرونه بأن النجاة هنا معنوية، تتمثل في محبة أهل البيت ومودتهم دون أن تدل على إمامتهم. غير أن سياق الحديث وارتباطه بحديث الثقلين يجعل تفسير الشيعة أدق وأقرب إلى الدلالة الأصلية للنجاة المقصودة بالنص النبوي، وهذا الحديث يُبرز الهداية الخاصة بأوضح صورها؛ فكما أن النجاة من الطوفان في زمن نوح كانت متوقفة على ركوب السفينة، فإن النجاة من الانحراف والضلال بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - متوقفة على التمسك بأهل بيته - عليهم السلام - ويكشف هذا التشبيه عن حتمية العصمة فيهم، إذ لا يُعقل أن يأمر النبي الأمة باتباع من قد يخطئ أو يضل. وبالتالي فإنهم صراف الله المستقيم و طريق الله الى النجاة ووسيلة الهداية للامة.

6- حديث سيدة نساء أهل الجنة.

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ("أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة وسيدة نساء العالمين"). (الصدوق، 1983م: ص553). وروي أيضًا: عن النبي أنه قال: ("فاطمة سيدة نساء





أهل الجنة من الأولين والآخرين". (المجلسي، 1983م: ج43، ص25). من الأحاديث المتفق على صحتها بين المدرستين، إذ ورد في الصحيحين عند السنة، وفي الأمالي وبحار الأنوار عند الشيعة. وقد اتفقت الروايات على بيان علق مقام الزهراء عليها السلام.

وهذا بين الحديثين - وغيرهما من الأحاديث الشريفة - يُثبتان مكانة فاطمة الزهراء - عليها السلام - باعتبارها سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة وهو مقام لا يُعطى إلا لمعصومة مصطفاة، إذ لا يعقل أن تكون سيدة نساء الجنة مع إمكانية وقوعها في الخطأ أو الذنب. كما أن وصفها بالسيدة يضعها في مصاف (الذين أنعم الله عليهم)، فهي من أهل الهداية الخاصة، بل حجة على النساء جميعاً.

"روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق (ع) في قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران: 61). قال - عليه السلام -: (خرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعه الحسن والحسين - عليهما السلام - وهما ابناه، وفاطمة - عليها السلام - وهي نساؤنا، وعلي (عليه السلام) وهو نفسه)" (القمي، 1987م: ج1، ص104).

يُعتبر حديث المباهلة من أقوى الأدلة على الهداية الخاصة والعصمة، وذلك لأنه عين المشاركين فالنبي لم يخرج معه إلا علياً وفاطمة والحسن والحسين، وهذا اصطفاة إلهي يدل على مكانتهم العظمى. والآية وصفت آل البيت المذكورين وصلتهم بالنبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فوصفت الإمام علي بالنفس: إدخاله في قوله (أنفسنا) دلالة على وحدة مقامه مع النبي في العصمة والهداية، وإن كان النبي أفضل بالرسالة.

وصفت الآية مقام فاطمة - عليها السلام - ب (نساءنا) و مشاركتها في المباهلة يجعلها شريكة في مقام الحجّة الإلهية، وهو ما يثبت عصمتها. ووصفت الآية الحسن والحسين -عليهما السلام -: بأنهما (أبناء النبي)، مما يبين أن الهداية مستمرة عبر ذريته الطاهرة.

إذن، حديث المباهلة يُظهر أن هؤلاء الخمسة (أهل الكساء) هم المصدق الأوضح للهداية الخاصة والصرط المستقيم الذي يجب اتباعه بعد النبي، وهم الذين أنعم الله عليهم وقرنهم بالحق.

يتضح من خلال استعراض الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية المعتبرة أنّ الهداية الخاصة التي أولاهها الله تعالى لعباده لا تتحقق إلا عبر النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين فقد بينت النصوص القرآنية أنّهم محلّ الاصطفاء الإلهي، ومهبط الوحي والعلم، ومظهر العصمة والولاية، وأنّ اتباعهم هو السبيل





إلى النجاة من الضلال. كما أن إدخال النبي لعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) في المباهلة، وتوصيف علي بأنه نفس النبي، يؤكد أنهم الامتداد الطبيعي للرسالة.

وتأسيساً على ذلك، فإن الهداية الخاصة ليست مجرد توفيق عام، بل هي تسديد رباني محصور في المعصومين الذين حفظوا الدين من التحريف، وبنوا الصراط المستقيم للأمة. وتدرج السيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام - ضمن هذا المصاف، إذ دلّت الأحاديث على عصمتها واصطفائها لتكون سيدة نساء العالمين، في حين يشير القرآن الكريم إلى أنّ مريم ابنة عمران صديقة، مما يضع الزهراء (ع) في مقام أرفع لكونها سيدتها. وبذلك تتجلى حقيقة أنّ "الذين أنعم الله عليهم" هم هؤلاء المصطفون الذين وصفهم القرآن بأنهم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون (النساء: 69)، وهم أنفسهم صراط الله المستقيم الذي ندعو في سورة الفاتحة للثبات عليه.

إن هذه الدلائل القرآنية والحديثية تترايط في نسق واحد لتؤكد أنّ الهداية الخاصة تمثل جوهر العصمة الإلهية، وأنّ النبي والأئمة (عليهم السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) هم القادة الربانيون الذين يجسّدون هذا المعنى بأبهى صورته، ليكونوا قدوة أبدية للأمة، وصراطاً مستقيماً يهدي إلى الحق المبين.

3. المبحث الثالث: الصراط المستقيم ومعانيه في سورة الفاتحة

3.1. أولاً: الصراط المستقيم في تفسير الميزان للطباطبائي

يرى العلامة السيد الطباطبائي أن معنى الصراط المستقيم في قوله تعالى: (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاتحة: 6-7) هو الطريق الواضح الذي يوصل إلى الله تعالى بلا اعوجاج. ويؤكد أنه ليس مجرد تصور نظري، بل واقع خارجي يتجسد في الدين الحق الذي جاء به النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - والمتجلي في القرآن الكريم وتعاليمه. ويشير الطباطبائي إلى أنّ القرآن فسر بعضه بعضاً؛ فأية (النساء: 69) توضح من هم الذين أنعم الله عليهم، إذ تقول: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)، مما يعني أن الصراط المستقيم هو طريق هؤلاء الأصناف. ويربط الطباطبائي ذلك بمفهوم الهداية الخاصة، مبيّناً أنّها لا تتحقق إلا عبر هؤلاء الذين اصطفاهم الله (انظر: الطباطبائي، 1997م: ج1، ص42).

3.2. ثانياً: الصراط المستقيم في تفسير الأمثل لمكارم الشيرازي





يذهب مكارم الشيرازي إلى أن الصراط المستقيم هو المنهج المتكامل للحياة، الذي يشمل الفكر والعقيدة والعمل والسلوك، ويرى أن الإنسان قد يعرف الطريق ولكنه قد لا يوفق للسير فيه، لذا جاء الدعاء بـ"اهدنا" لطلب التوفيق والتسديد من الله. ويضيف أن الصراط المستقيم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بولاية النبي وآله - عليهم السلام - حيث يشكلون الامتداد الواقعي للنبوة، وضمانة بقاء الإسلام على نقائه. ويشير الشيرازي أيضاً إلى البعد الفطري، فالصراط المستقيم هو عين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والخروج عنه هو خروج عن نظام الخلقة (انظر: الشيرازي، 1989م: ج1، ص62).

3.3. ثالثاً: الصراط المستقيم في ظلال القرآن لسيد قطب

يفسر سيد قطب الصراط المستقيم على أنه طريق الإسلام بشموله وكماله، الجامع بين العقيدة الصحيحة والنظام الأخلاقي والاجتماعي. ويرى أن تكرار الدعاء بالهداية في كل صلاة دليل على حاجة الإنسان المستمرة للثبات على هذا الطريق وسط الانحرافات والفتن. ويشير إلى أن الصراط المستقيم هو طريق الذين أنعم الله عليهم من المؤمنين المخلصين الذين عاشوا حقيقة الإسلام وجاهدوا في سبيله، وليس طريق المغضوب عليهم (اليهود الذين عرفوا الحق وخالفوه) ولا الضالين (النصارى الذين عبدوا الله على جهل وانحراف). (انظر: سيد قطب، 1980م: ج1، ص42).

3.4. رابعاً: الصراط المستقيم في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور

يولي ابن عاشور عناية خاصة للتحليل اللغوي والبياني، فيرى أن "الصراط" في اللغة هو الطريق الواضح، ووصفه بـ"المستقيم" يعني الخالي من التعقيد والانحراف. ويبين أن الدعاء بالهداية هنا ليس طلباً لمعرفة الطريق فقط، بل طلباً للثبات عليه والدوام فيه، لأن معرفة الحق لا تكفي ما لم يقترن ذلك بالعمل. ويضيف أن الصراط المستقيم يتمثل في الإسلام الذي جاء به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فهو الطريق الذي يحقق سعادة الدارين، ولذلك سُمي مستقيماً لأنه أعدل الطرق وأوضحها. ويرى أن قوله: (صراط الذين أنعمت عليهم) يحدد جماعة مخصوصة هم أهل الطاعة والاستقامة، بخلاف المغضوب عليهم والضالين الذين سلكوا مسالك الانحراف (انظر: ابن عاشور، 1997م: ج1، ص169).

3.5. خامساً: الصراط المستقيم في تفاسير أخرى

1- الطبري: يرى أن الصراط المستقيم هو الإسلام ذاته، وأن الذين أنعم الله عليهم هم المؤمنون العاملون بطاعة الله ورسوله (الطبري، 2000م: ج1، ص142).





2-الرازي: يؤكد أن الصراط المستقيم هو ما يوافق العقل والشرع معاً، ويصفه بأنه أوضح الطرق وأعدلها (الرازي، 1999م: ج1، ص163).

3-ابن كثير: يفسره بأنه طريق النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ويؤكد أن الدعاء به واجب في كل صلاة لأنه أساس الاستقامة والنجاة (انظر: ابن كثير، 1998م: ج1، ص139).

الرازي: يؤكد أن الصراط المستقيم هو ما يوافق العقل والشرع معاً، ويصفه بأنه أوضح الطرق وأعدلها (الرازي، 1999م: ج1، ص163).

3.6. سادساً: البعد القرآني للصراط المستقيم وربطه بأية (69) من سورة النساء

و إن مفهوم الصراط المستقيم الذي يُشكّل محور الدعاء في سورة الفاتحة، لا يقف عند حدّ الهداية التشريعية فحسب، بل يمتدّ إلى الهداية الوجودية التي تتجلّى في ولاية أولياء الله، فالله تعالى بيّن في سورة النساء قوله: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا). (النساء: 69). وهذه الآية الكريمة تُعدّ البيان التفصيلي لما أُجمل في سورة الفاتحة بقول الله تعالى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، فهي تُفسّر من هم "المنعم عليهم"، وتبيّن أنّهم جماعة مخصوصة اصطفاها الله لهداية الخلق. هذا يبيّن أن الصراط المستقيم ليس مجرد مفهوم عام، بل هو طريق محدد يتجسد في هؤلاء المصطفين.

وقد أكدت نصوص قرآنية أخرى هذا المعنى، مثل قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ). (الأنبياء: 105)، مما يدل على أن الصالحين جزء من الامتداد التاريخي للصراط المستقيم، وأنهم يمثلون الطائفة التي تحقق الهداية الإلهية في الأرض. وقد وردت عن الإمام جعفر الصادق -عليه السلام- رواية تشرح هذا الارتباط بين الصراط المستقيم وبين أهل البيت، إذ قال: "نحن الصراط المستقيم، ونحن الذين أنعم الله عليهم، ونحن الوسيلة بين الله وخلقته". (القمي، 1987م: ج1، ص36). وهذا الحديث مرويّ في مصادر الشيعة المعتبرة ك تفسير القمي وغيره بسند متصل، ويُعدّ حديثاً حسناً عند محدّثين؛ لأنّ رواته من الثقات المعروفين كالصقار وأحمد بن محمد بن عيسى.

3.7. سابعاً: الصراط المستقيم في السنة النبوية

لم يقتصر بيان معنى الصراط المستقيم على النصوص القرآنية، بل وردت في السنة النبوية الشريفة أحاديث تؤكد أن هذا الصراط يتجسد في ولاية علي وأهل بيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو ما ينسجم مع تفسير (صراط الذين أنعمت عليهم) في سورة الفاتحة. وهذا الحديث يربط بين الصراط





المستقيم كشعار قرآني وبين ولاية الإمام علي - عليه السلام - باعتباره الامتداد الشرعي لهداية الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - و يوضح ان الهداية الخاصة المتمثلة في الصراط المستقيم لا تتحقق إلا عبر ولاية الإمام علي، وإلى جانب الإمام علي، ربطت بعض الأحاديث الصراط المستقيم بأهل البيت - عليهم السلام - مجتمعين. فقد ورد عن الإمام الصادق أنه قال: (نحن الصراط المستقيم ((الكليني، 1986م: ج1، ص153)). وهذا الحديث حديث صحيح وهو يفسر الآية في سياق أوسع، بحيث يكون الصراط هو خط الإمامة الذي يحفظ الدين من الانحراف.

بعد هذا العرض يتضح أن مفهوم الصراط المستقيم في سورة الفاتحة يمثل لبّ الرسالة القرآنية وجوهر الهداية الإلهية. فقد اجتمعت التفسير على أن الصراط المستقيم ليس مجرد طريق معرفي أو تصور نظري، بل هو الطريق العملي المتجسد في الدين الحق الذي جاء به النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو الإسلام بما يحمله من عقيدة وشريعة وأخلاق. كما أن المفسرين اتفقوا على أن الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم لا يقتصر على طلب المعرفة، بل يشمل التوفيق والثبات على الطريق، إذ قد يعرف المرء الحق ولكنه يحتاج إلى عون إلهي للسير فيه.

وقد أبانت النصوص القرآنية المفسرة، مثل آية (النساء: 69)، أن الذين أنعم الله عليهم . وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون . هم النموذج العملي للصراط المستقيم، وبذلك يكون القرآن قد حدد بدقة معالم الهداية الخاصة. كما أظهرت بعض التفسير، كالميزان والأمل، أن الصراط المستقيم يرتبط بمفهوم الولاية والافتداء بالمعصومين - عليهم السلام - بوصفهم الامتداد الواقعي للنبوة وضمانة بقاء المنهج الإلهي، وهو ما يضيف بُعدًا ولأنيًا للمفهوم القرآني. وعليه، فإن الصراط المستقيم في سورة الفاتحة يتجلى باعتباره الإسلام في شموله، ويمثل في الوقت ذاته خطأ واضحًا يربط بين الرسائل الإلهية المتتابعة، ويظهر وحدة الهدف وهو الوصول إلى مرضاة الله والفوز بالهداية الخاصة، بعيدًا عن سبل الغواية والانحراف المتمثلة في المغضوب عليهم والضالين. ومن خلال الأحاديث النبوية يتضح أن الصراط المستقيم في الرؤية الحديثية لا ينفصل عن الهداية الخاصة التي اختص الله بها النبي وأهل بيته الطاهرين، فهم الامتداد الطبيعي لصراط الذين أنعم الله عليهم، والقوة التي يقبدي بها المؤمن للوصول إلى الحق والنجاة.

4. المبحث الرابع: الأبعاد القرآنية الشاملة لمفهوم الهداية

تؤكد النصوص القرآنية أن الهداية ليست مجرد إرشاد نظري، بل هي عملية شاملة تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية، فتشكل إطارًا متكاملًا للعقل، والروح، والسلوك. فهي تهدف إلى تمكين الإنسان





من معرفة الله تعالى والافتداء بالأنبياء وأهل البيت - عليهم السلام - في أسمى مستويات الطهارة والفضيلة، كما تحدد له الطريق الأمثل للعيش في توافق مع القيم الإلهية. ويهدف هذا المبحث إلى استعراض الأبعاد الشاملة للهداية كما وردت في القرآن الكريم، مع التركيز على ثلاثة محاور رئيسية: البعد الروحي، البعد العملي، والبعد الرسالي، مع إبراز العلاقة بين الهداية العامة الموجهة للبشر، والهداية الخاصة التي تقتصر على الأنبياء والأئمة المعصومين.

4.1. أولاً: البعد الروحي

يمثل القيم الروحية والتركيبية القلبية التي تهئ الإنسان لتلقي الهداية، يظهر ذلك في مطلع الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين). (الفاتحة: 2)، حيث يشير السيد الطباطبائي إلى أن استحضار الربوبية والرحمة يشكل أساس التوجيه الروحي (انظر: الطباطبائي، 1990م: ج1، ص27).

تعد الهداية في القرآن الكريم عملية روحية شاملة تهدف إلى تطهير القلب وتهذيب النفس وتوجيه الإنسان نحو الله، فهي ليست مجرد التزام ظاهري بالعبادات، بل هي اتصال داخلي - مع الحق سبحانه وتعالى - يعكس وعي الإنسان وصدق نواياه. يقول الله تعالى: (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا). (الشمس: 8)، حيث تشير الآية إلى أن الهداية مرتبطة بوجه القلب إلى الطاعة والإخلاص لله، وهو ما يجعل الإنسان مضيئاً بالحق، ومنبعاً للسلوك القويم في حياته. ويعكس الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام - هذا البعد الروحي في قوله: (اعلموا أنما الدنيا دار عمل، وما فيها من القلوب إلا ما عرف الحق واهتدى).

(الإمام علي، الخطبة 193، 1992م)، مما يدل على أن الهداية الحقيقية تبدأ من استتارة القلب بالحق وفهم مقاصد الشرع، لتصبح أساساً لسلوك إنساني متوازن وارتقاء روحاني. وهذا البعد الروحي للهداية يرتبط بالثبات على القيم الإيمانية، ويؤكد أن المستضيء بالهدى هو الذي يتجاوز مظاهر الحياة الدنيوية ليحيا وفق وعي رباني شامل.

4.2. ثانياً: البعد العملي

يتجلى البعد العملي في الالتزام الشرعي بالسلوك الفردي والاجتماعي وفق منهج الأنبياء والأئمة، كما في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم). (الفاتحة: 7)، وشرح ابن عاشور لهذه الآية يوضح أن الهداية العملية تتحقق باتباع منهج هؤلاء. (انظر: ابن عاشور، 1984م: ج1، ص142).

وورد في الحديث عن الإمام الصادق - عليه السلام - قال: "كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية)". (الكليني، 1986م: ج2، ص78).





يوضح الحديث أنّ الهداية العملية تتطلب تجسيد الإيمان بالعمل الصالح في الحياة اليومية، ويمتد البعد العملي للهداية إلى توجيه السلوك الإنساني وأفعاله بما يتوافق مع القيم الإلهية، ويشمل ذلك الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والتزام الشريعة، حيث يُرشد الإنسان للتمييز بين الحق والباطل، والصراف المستقيم الذي يسلكه كل من الأنبياء وأهل البيت - عليهم السلام - هذا البعد يبرز كيف أن الهداية القرآنية ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي ممارسة عملية تؤدي إلى تطهير النفس وتصحيح السلوك. قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا). (فصلت: 33). كما نجد نظير هذا المعنى في كلام الإمام علي في نهج البلاغة قال: "(كونوا دعاةً إلى الله بغيرِ أَسْنَتِكُمْ، وكونوا زِينًا ولا تكونوا شَيْنًا)". (الإمام علي، حكمة 208، 1992م)

4.3. ثالثاً: البعد الرسالي

يركز البعد الرسالي للهداية على رسالة القرآن في توجيه البشرية جمعاء نحو الخير والصلاح ويظهر ذلك في صياغة الدعاء الجمعي في سورة الفاتحة: "اهدنا الصراط المستقيم"، حيث تشمل الهداية العامة كل البشر، بينما الهداية الخاصة للأنبياء والأئمة لضمان قيادة صالحة ومعصومة للأمة كما يربط هذا البعد بين الصراط المستقيم ومن أنعم الله عليهم من النبيين، الصديقين، الشهداء، والأئمة، مما يعكس دورهم كمرشدين للعباد. قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ). (السجدة: 24).

فالآية توضح أن الهداية الخاصة تتجسد عملياً في دور الأئمة والقادة الربانيين الذين يقودون الناس نحو الحق وتطبيق الشرع وفق القوانين الإلهية. وقد أشار مكارم الشيرازي في الأمثل إلى أن هذه الهداية "ليست مجرد بيان، بل قيادة عملية تقوم على الصبر واليقين، وهما ركيزتان للحركة الرسالية" (الشيرازي، 1989م: ج14، ص88). بينما يرى سيد قطب أن وظيفة الهداية هنا "إقامة الجماعة المؤمنة التي تحمل رسالة الإسلام وتحققها في الواقع البشري" (سيد قطب، 1980م: ج5، ص274). وفي حديث الغدير عن النبي الأكرم قال: "(من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)". (الكليني، 1986م: ج1، ص318). يبرز هذا الحديث أن الأئمة المعصومين هم امتداد عملي للرسالة، وتجسيد حي للصراف المستقيم.

4.4. رابعاً: البعد الاجتماعي والأخلاقي





جاء في تفسير ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: 90). يشمل الالتزام بالقيم الأخلاقية والاجتماعية كالعدل والإحسان، (انظر: ابن كثير، 1999م: ج1، ص45).

وورد عن الإمام علي - عليه السلام - قوله: "العدل أساس الملك، والظلم أساس الخراب". (الفيض الكاشاني، 1995م: ج1، ص55). يتضح من هذا الحديث أن الهداية الاجتماعية تتحقق بالعدل الذي هو أساس الملك، وأن الالتزام بالقيم الأخلاقية جزء من السير على الصراط المستقيم لا تقف الهداية عند حدود المعرفة بل معرفة يتبعها تطبيق.

تضح في هذا المبحث - المبحث الرابع - ان دراسة سورة الفاتحة تؤكد على أن مفهوم الهداية في القرآن الكريم يمتاز بالشمولية والتكامل بين البعد الروحي، والبعد العملي، والبعد الرسالي، إضافة إلى البعد الاجتماعي والأخلاقي. فالبعد الروحي يمكّن الإنسان من تنقية قلبه واستحضار معاني الربوبية والرحمة، ويشكّل أساساً لقبول الهداية الإلهية واستمراريتها في حياته، كما أظهرته الآيات الافتتاحية للسورة والأحاديث الداعمة التي تربط الإيمان بالقلب بالسلوك. أما البعد العملي فيتمثل في الالتزام بأوامر الله والانتفاء عن نواهيه، وتجسيد المعتقد من خلال العبادة والعمل الصالح والاقتران بالقدرات المعصومة، وهو ما أظهرت دراسة الهداية الخاصة والقرائن القرآنية المتعلقة بالعصمة والنصوص الحديثية للأنبياء والأئمة. كما يبرز البعد الرسالي في دور الأنبياء والأئمة المعصومين، الذين يمثلون الصراط المستقيم عملياً، ويشكلون نموذجاً حياً يُقتدى به في الحفاظ على الهداية وتحقيق التزكية الروحية والأخلاقية للمؤمنين. إضافة إلى ذلك، تشمل الهداية البعد الاجتماعي والأخلاقي الذي يربط بين الفرد والمجتمع عبر قيم العدل والإحسان، ويجعل الالتزام بالفضيلة جزءاً من السير على الصراط المستقيم. ومن خلال الجمع بين هذه الأبعاد، تتضح رؤية القرآن للهداية كأساس متكامل لتنشئة الإنسان روحياً وعقلياً وعملياً، مع مراعاة دور القدرات المعصومة في تثبيت السلوك الإنساني على الصراط المستقيم. وتظهر الدراسة أن سورة الفاتحة لا تقدم الهداية كدعاء لحظي، بل كمنهج حياة مستمر، يجمع بين الاعتقاد والعمل والاقتران بالأنبياء والصالحين، لتؤكد شمولية الهداية القرآنية وارتباطها الوثيق بالكمال الفردي والاجتماعي والرسالي، بما يضمن انسجام الإنسان مع غايته النهائية والاتصال المباشر بخالقه.

الخاتمة





الحمد لله على التمام في البدء والختام، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد المصطفى وآله الكرام وعلى صحبه الأخيار، ومن على شرعه استقام.

بعد هذا العرض والتحليل يتضح أن الهداية في سورة الفاتحة ليست مجرد مفهوم إيماني محدود، وإنما هي محور شامل يربط بين العقيدة والشريعة والسلوك، ويشكل قاعدة أساسية لفهم البنية الكلية للقرآن الكريم، وقد توصلت بعد كتابة هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1. تبين أن سورة الفاتحة تمثل منظومة هداية متكاملة، تجمع بين التوحيد والعبودية والدعاء بالهداية، فهي تبدأ بإقرار ربوبية الله تعالى، ثم بعبادته والاستعانة به، وختمت بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، الذي يمثل طريق الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام).
2. أظهرت الدراسة أن الهداية في الفاتحة ذات أبعاد متعددة: معرفية في بيان الحقائق الإلهية، وروحية في إشعار العبد بالقرب من ربه، وأخلاقية في تهذيب النفس، وعملية في توجيه السلوك الإنساني. وفي هذا السياق، الهداية العامة موجّهة لجميع البشر، بينما الهداية الخاصة مُخصّصة للأنبياء والأئمة، بما يؤكد عصمتهم وخصوصية دورهم في قيادة البشرية.
3. بيّنت النتائج أن الصراط المستقيم هو جوهر الهداية القرآنية، ويشمل الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء، الصديقين، الشهداء، والأئمة المعصومين، بما فيهم السيدة فاطمة (سلام الله عليها)، ويظهر ذلك في ربط الآيات: الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، مع ما ورد في آيات التطهير والمباهلة وغيرها، مؤكدة العصمة والتميز في الهداية الخاصة.
4. اتضح أن البعد الجماعي للهداية في الفاتحة يعكس أيضًا وحدة الأمة، حيث يأتي الدعاء بصيغة الجمع: اهدنا الصراط المستقيم، ويشير إلى أن الأمة مدعّمة بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) وهدايتهم الخاصة، باعتبارهم قدوة صالحة وسراجًا منيرًا للعباد.
5. أظهرت المقارنة بين التفسير أن المفسرين اتفقوا على مركزية الهداية في الفاتحة، وأن الصراط المستقيم مرتبط بالأنبياء والأئمة، وأن فهم هذه العلاقة يتيح إدراك البعد الخاص للهداية الذي يشمل العصمة والطهارة والمعرفة الكاملة لله.
6. توصلت إلى أن الهداية القرآنية في الفاتحة ليست مجرد إرشاد نظري، بل هي هداية عملية تتحقق بالعلم والإيمان والعمل الصالح، ومشروطة بصدق التوجّه إلى الله تعالى واستعداد القلب لقبول الحق، مع التأكيد أن الهداية الخاصة محصورة في الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام)، بينما الهداية العامة موجّهة لجميع البشر.





المصادر

- القرآن الكريم
- [1] أنيس، إبراهيم، وآخرون. (2004م). المعجم الوسيط. القاهرة: مجمع اللغة العربية.
 - [2] ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984م). التحرير والتنوير (ج1-16). تونس: الدار التونسية للنشر.
 - [3] ابن فارس، أحمد. (1979م). مقاييس اللغة (ج1-6). بيروت: دار الفكر.
 - [4] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999م). تفسير القرآن العظيم (ج1-8). بيروت: دار الفكر.
 - [5] الطبرسي، الفضل بن الحسن. (1995م). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للطبوعات.
 - [6] الطبري، محمد بن جرير. (1992). جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تحقيق: أحمد شاكر). القاهرة: دار هجر، ج6، ص 288-289.
 - [7] الطباطبائي، محمد حسين. (1990م). الميزان في تفسير القرآن (ج1-20). بيروت: مؤسسة الأعلمي.
 - [8] الطوسي، محمد بن الحسن (أبي جعفر). (1989م). التبيان في تفسير القرآن (ج1-10). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
 - [9] الترمذي، محمد بن عيسى. (1998م). سنن الترمذي. بيروت: دار الفكر.
 - [10] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (1990م). المستدرک على الصحيحين (ج1-4). بيروت: دار المعرفة.
 - [11] الحوزي، عبد علي بن جمعة. (2001م). تفسير نور الثقلين (ج1-5). قم: مؤسسة إسماعيليان.
 - [12] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (1981م). التفسير الكبير (ج1-32). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
 - [13] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (1992م). المفردات في غريب القرآن. بيروت: دار القلم.
 - [14] الشيرازي، ناصر مكارم. (1989م). تفسير الأمل في كتاب الله المنزل (ج1-14). قم: دار الولاية.
 - [15] الصدوق، محمد بن علي. (1983م). الاعتقادات. قم: جماعة المدرسين.
 - [16] (1983م). معاني الأخبار. بيروت: دار الفكر.
 - [17] الكاظمي، محمد الأمين بن محمد. (1999م). أعيان الشيعة (ج1-57). بيروت: دار التعارف.
 - [18] الكليني، محمد بن يعقوب. (1986م). الكافي (ج1-8). طهران: دار الكتب الإسلامية.
 - [19] القمي، علي بن إبراهيم. (1987م). تفسير القمي. قم: دار الكتاب.
 - [20] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (1967م). الجامع لأحكام القرآن (ج1-20). القاهرة: دار الكتب المصرية.
 - [21] المجلسي، محمد باقر. (1983م). بحار الأنوار (ج1-110). بيروت: مؤسسة الوفاء.
 - [22] المرعشي، نور الله الحسيني. (1985م). إحقاق الحق وإزهاق الباطل (ج1-37). قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
 - [23] المازندراني، ملا محمد صالح. (2000م). شرح أصول الكافي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.





- [24] مسلم بن الحجاج. (2000م). صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- [25] فرات الكوفي. (1995م). تفسير فرات الكوفي. قم: جامعة المدرسين.
- [26] الفيض الكاشاني، محسن بن مرتضى. (1995م). تفسير الصافي. طهران: مؤسسة الأعلمي.
- [27] اليقطيني، محمد بن عيسى. (1982م). نواذر الحكمة. قم: مؤسسة آل البيت.
- [28] ابن منظور. (1994). لسان العرب (الطبعة الثالثة، ج4، ص442). بيروت: دار صادر.
- [29] سيد قطب. (1980م). في ظلال القرآن (ج1-5). القاهرة: دار الشروق.
- [30] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. (1999). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (الطبعة الثانية، ج4، ص166). بيروت: دار الفكر.
- [31] علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، الخطبة 193، بيروت: دار البلاغة، 1992م)
- [32] Sayed Aqeel Hussaini & Mohammad Nasser Vaezi, The Scientific Authority of the Ahl al Bayt (as) in the Qur'ān, 2024. Available at: https://www.researchgate.net/publication/394519409_The_Scientific_Authority_of_the_Ahl_al-Bayt_as_in_the_Qur%27an